

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
الدراسات العليا الشرعية
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والمنه

القسم الأول من

تخريج أحاديث وآثار أصول السرخسي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إشراف الاستاذ الدكتور
محمود نادر عبيدات

اعداد الطالب
عبدالرحمن محمد الحداد

المجلد الأول

١٤١٢ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على من اصطفى

إن الحديث الشريف هو الأصل الذي بنى عليه العلماء أقوالهم واجتهاداتهم فإذا صح الأصل كان البناء سليماً ومعتبراً ويعد ...

فإن كتاب أصول السرخسي يعد من أمهات كتب أصول الفقه في المذهب الحنفي وصاحب الكتاب امام مشهور وعالم متمكن مشهود له بالعلم والاجتهاد وقد اخترت أن يكون موضوع رسالتي لنيل درجة الماجستير (تخريج أحاديث وآثار أصول السرخسي) لتكتمل جوانب الكتاب فلقد كانت طريقة علمائنا الأوائل سرد الأحاديث وعدم بيانها من حيث القوة والضعف أو القبول والرد وهذا ما قمت به في رسالتي هذه .

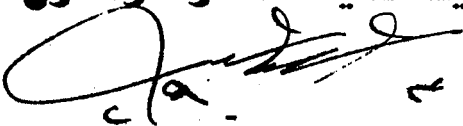
ولقد بدأت رسالتي بمقدمة ذكرت فيها سبب اختياري للموضوع وأتبعتها ببيان المنهج الذي سرت عليه في إعدادي لهذه الرسالة وطريقتي في تخريج أحاديث الكتاب وهذا صلب رسالتي وجل عملي وأفردت القسم الأول منها للدراسة التي شملت المعلومات الخاصة عن الامام السرخسي وحياته ومكانته العلمية والعصر الذي عاش فيه وثناء العلماء عليه وأشهر شيوخه وتلامذته ووفاته وذكرت بعض كتب أصول الفقه بعد أن تناولت تعريفه وتوقفت عند كتاب أصول السرخسي الذي عملت به وبينت بعضاً من الجوانب الهامة للكتاب وكيف أن مؤلفه كان يتحرى ما هو حق وصواب وإن خالف التزامه المذهبي ثم ذكرت بعض النتائج التي توصلت إليها وعلى رأسها بيان أهمية الكتاب من الناحية العلمية لبناء أصوله على الأدلة الشرعية المتمثلة بالكتاب والسنة وبيان ما يتمتع به الامام السرخسي من طول باع في الحديث رواية ودراية يدل على هذا القدر الكبير من الأحاديث التي أوردها وتخيره لما هو محتج به فقد بلغ عدد الأحاديث في القسم الذي عملت به - ٤٧١ - بلغ المرفوع منها - ٣٣٠ - منها - ٢٥٣ - بمرتبة الصحيح ومعظمها متفق عليه أو عند أحدهما و - ٥٤ - بمرتبة الحسن و - ٢٣ - بمرتبة الضعيف منها أربعة ضعفها شديد .

فعلى هذا تكون نسبة الأحاديث الصحيحة فيه فوق ٨٠% وعدد الموقوف - ١٢٢ - منها - ٦٢ - بمرتبة الصحيح و - ٣١ - بمرتبة الحسن و - ٢٨ - بمرتبة الضعيف منها اثنان ضعفها شديد .

والأحاديث التي لم أجدها لم تتجاوز الثمانية أكثرها موقوف ومقطوع ثم ختمت رسالتي بفهارس مختلفة للأحاديث والآثار والرجال والكلمات الغريبة ...

أسأل المولى الكريم أن يجعل عملي هذا خالصاً له وأن يجعله في ميزان حسناتي وأن يجزى خيراً كل من أرشدني وأعانني فيه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عميد كلية الدعوة وأصول الدين



المشرف



الطالب

عبدالرحمن محمد احمد


من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين

(حديث شريف أخرجه البخاري ومسلم)

دعاء

اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، وأنت اذا شئت تجعل الحزم
سهلا ، سهل لنا أمورنا ، وارحمنا يا أرحم الراحمين .

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم .

يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك سبحانك لا نحصى
ثناء عليك أنت كما أثنت على نفسك .

يا ربى لك الحمد على توفيقك واحسانك وفضلك وكرمك .

ربى اغفر لى ولوالدى ولمن اسدى الى معروفنا ولمن أكرمنى الله بحسن
توجيهه واشرافه على هذا العمل انه سميع قريب مجيب الدعاء .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ولمن تبعهم
باحسان الى يوم الدين .

الاهداء

الى من ربيانى صغيرا وغرسا حب الاسلام فى نفسى وتعاهدانى بكل
ما يلزم . . . الى والدى الكريمين أطال الله عمرهما وجعلنى بارا بهما ووفاء
بحقهما أتقدم اليهما بأول جهد لى سائلا المولى الكريم أن يحسن مشيئتهما
ويعظم أجرهما انه سميع مجيب .

عيد الرحمن

شكر وتقدير

من منطلق الوفاء الذى أمرنا الاسلام به اسداء الشكر لأصحاب الفضل والمعروف الذى جعل الشرع شكرهم من شكر الله .

كما ورد ذلك عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " (١) من هذا المنطلق أقدم شكرى وامتنانى بعد شكر الله سبحانه وتعالى لأستاذى الفاضل الدكتور محمود نادى عبيدات الذى تكرم مشكوراً بإشرافه على رسالتى ، فقد كان لى نعم العون ونعم الموجه والمرشد لم يرض على بشئ من الوقت والعلم والجهد ، ولم يقتصر انتفاعى من علمه فقط بل انتفعت بأخلاقه الفاضلة من وفاء وكرم وتواضع الى غيرها من الصفات التى قلما تجتمع فى انسان .

لقد كان لى مرشداً ومعلماً وأخاً كبيراً أحاطنى برعايته الأبوية وعنايته العلمية وتوجيهاته السديدة فأحمد المولى الكريم الذى أكرمنى به وأسأله سبحانه أن يجزيه عنى خير الجزاء فى الدنيا والآخرة وأن يقر عينيه بأولاده وأحفاده اللهم آمين . كما أتوجه بالشكر لكل من أهدى الى نصحه وتوجيهه وأكرمنى ولو بمعلومة ، وإلى كل من له يد عون أو فضل على فى اعارة كتاب أو مراجعة نص .

وأشكر القائمين على جامعتنا العامرة التى قدمت لنا الشئ الكثير فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموه لنا لتتعلم وعلى رؤسهم مدير الجامعة الدكتور راشد الراجح والدكتور على العليانى عميد كلية الدعوة وأصول الدين ووكيله الدكتور أحمد الزهرانى ، والدكتور أسامة خياط رئيس قسم الكتاب والسنة فجزاهم الله خيراً .

(١) أخرجه الامام أبوداود رقم (٤٨١١) فى الأدب ، باب شكر المعروف

والترمذى فى البر والصلة ، باب ما جاء فى الشكر لمن أحسن اليك ، حديث (١٩٥٥) ٢٩٨/٤ وقال حسن صحيح ، وأحمد فى مسنده ٢٥٨/٢ ، كلهم من حديث أبى هريرة بالفاظ متقاربة واللفظ للترمذى .

وأشكر القائمين على البحث العلمى وأحياء التراث الاسلامى فى جامعتنا ،
والقائمين على المكتبة المركزية بها والعاملين فيها وقسم المخطوطات لما لهم من
فضل فى تسهيل مهمة البحث .
وانى ان أسجل شكرى واحترامى للجميع فانى أسأل المولى الكريم أن يمدهم
بمعون من عنده ، وأن يوفقهم لكل خير ويحسن ثوبتهم فى الدنيا والآخرة .
كما أسأله سبحانه أن يرزقنا الاخلاص فى القول والعمل ، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين .

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا اله
الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد المرسلين وامام
المتقين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه الى
يوم الدين .

أما بعد :

فان العمل في ميدان طلب العلم الشرعي وتحصيله من أشرف العلوم وأحسنها
خاصة المتعلقة منها بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما
كان أيضا متعلقا بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الذي أمره الحق سبحانه وتعالى أن
يبليغ ما أنزل الله اليه فقال : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته . (١)

فبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمره الله ببلاغه وبين لهم كل شيء ، فجاءت
سنته صلى الله عليه وسلم مبينة وموضحة ومفسرة وشارحة لما أتى به كتاب الله ولم
يفارق الدنيا الا بعد أن ترك أصحابه على المحجة البيضاء ليلها كنهارها
فكتاب الله وسنة نبيه صنوان لا يمكن الفصل بينهما ، فالأخذ بالسنة هو أخذ بالقرآن
كما قال تعالى : ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٢) ،
فهى الأصل والمصدر الثانى للتشريع الذى لا يمكن بحال أن يستغنى عنه
الأصل والمصدر الأول وهو القرآن الكريم .

(١) سورة المائدة (٦٧) .

(٢) سورة الحشر (٧) .

فالحمد لله سبحانه وتعالى أمرنا بكتابه الكريم بأقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج
وغير ذلك أمراً مجملًا عامًا دون التعرض للتفصيل والبيان فجاءت السنة الشريفة
موضحة ومبينة لعدد الصلوات وعدد ركعاتها وأوقاتها وشروطها وبينت الزكاة
أنواعها ومقاديرها ، الى غير ذلك ، من هذا يتضح لنا أهمية السنة من الدين
ويتكشف لنا مكر أعدائنا وحقدهم وخطر ما ينادون به من الطعن ، والتشكيك فى
السنة الشريفة ومقصدهم من ذلك واضح ألا وهو هدم الاسلام من أساسه وأركانها .

نعم لقد هبوا الحق سبحانه رجالا ثقات على مر السنين والقرون أوتوا من
الفهم والاخلاص وقوة الحفظ ما يتناسب مع عظم المسؤولية المتمثلة بحفظ شرع الله
من أن ينال منه أى انسان يحاول أن يشكك فيه أو يشوش عقول المسلمين وهذا
مظهر من مظاهر حفظ الله لدينه فان الله اذا أراد أمراً هياً له أسبابه والعلماء
المخلصون من أسباب حفظ الدين وبيانه للناس ، قال تعالى : انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون . (١)

ولقد حرصت بعد أن انتهيت من السنة المنهجية قسم الكتاب والسنة وهو
فضل واكرام من الله أسأله سبحانه أن أكون على مستوى هذا الاكرام أحببت أن أعمل
فى مجال السنة النبوية الشريفة فأرشدنى بعض أهل الفضل والعلم للعمل فى
تخريج أحاديث كتاب أصول السرخسى فى ذلك تحقيق بغيتى وفيه خدمة للكتاب
الذى يعتبر من أمهات كتب الأصول فى المذهب الحنفى فصاحبه امام مجتهد
وعالم كبير فلم أتردد فى موافقه وقد نال موافقة المجالس العلمية عليه فى جامعتنا
الحبيبية على أن يكون على من بداية المجلد الأول الى ص ٣٤٥ أقسام الرواة

وقد اشتملت خطة بحثى على مقدمة وقسمين وخاتمة .

أما القسم الأول فيشمل الدراسة وتحتوى على :

- ١ - ترجمة المؤلف : اسمه ، ولادته ، نسبه ، حياته ، العصر الذى عاش فيه .
 - ٢ - مكانته العلمية ، ثناء العلماء عليه آثاره العلمية .
 - ٣ - أشهر شيوخه ، أشهر تلامذته ، وفاته .
 - ٤ - تعريف علم أصول الفقه وذكر بعض كتبه ، .
 - ٥ - بيان أهمية كتاب السرخسى والتعريف به .
- وأما القسم الثانى : فيحتوى على التخرىج ومتعلقاته .
- وأما الخاتمة : فتشمل أهم النتائج التى توصلت اليها .

منهجى فى البحث

- ١ - اذا كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما أكتفى بالعزولهما بذكر الراوى فقط دون السند وأضيف الى تخريجه بقية الكتب الستة وقد أضيف عليهما بعض كتب السنة الأخرى ، وان كان معنى الحديث وأصله موجودا فى الصحيحين دون اللفظ فانى أصدر الرواية بهما أيضا لمكانتهما ولأن ذلك يفي بالغرض لأن الغاية من علمنا الاطمئنان الى صحة الحديث على أننى أذكر اللفظ نفسه ان كان موجودا فى غير الصحيحين من غير تعرض لحال السند .
- ٢ - ان لم يكن فيهما أو فى أحدهما أبين من رواه من أصحاب السنن الأخرى واعتمد أقرب الروايات المشابهة للفظ الحديث أو الأثر الوارد عند الامام السرخسى وأقدم رواية أصحاب السنن الأربعة على غيرهم من أصحاب كتب السنة لمنزلتهم المعلومة الا اذا كانت رواية غيرهم أصح سنداً فأقدمها وأذكر السند كاملاً .
- ٣ - قدمت المرفوع الضعيف أو الحسن من الحديث على الموقوف الصحيح لمزية المرفوع .
- ٤ - اعتمدت واكتفيت بحكم وقول الائمة المعبرين كالامام الزيلعى وابن حجر وغيرهما اللذين عنوا بدراسة الحديث .
والحكم عليه وذكر طرقه ونقلت من كلامهم القدر الضرورى من غير اطالة .
- ٥ - الأحاديث التى لم أجد من تعرض لها وحكم عليها من الائمة السابقين حكمت على أسانيدها وذلك من خلال دراستى لحال رجال السند مع ذكر الشواهد والمتابعات للتقوية ان لزم الأمر ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الحكم على سند الحديث بالضعف لا يستلزم ضعف الحديث فلربما وجد للحديث طرق أخرى لم يتيسر لى الوقوف عليها .

٦ - ما قلت في حديث لم أجده لايعنى هذا حكما أخيرا فربما كان موجودا فى

بعض الكتب والمخطوطات التى لم يتيسر لى الاطلاع عليها .

٧ - الأحاديث المكررة ان كانت فى نفس الصفحة فأكتفى بإيراد الحديث الأول

فقط ولا أذكر الثانى أما ان اختلفت الصفحة فأذكره وأشير الى تخريجه

الذى سبق .

٨ - بالنسبة للحكم على الرجال اعتمدت ما ذكره ابن حجر فى كتابه التقريب فمن

حكم عليه بأنه ثقة أو صدوق اكتفيت بحكمه من دون توسع ودون الرجوع لما

يوثقه من الكتب الأخرى وقد أشير لبعض كتب التراجم الأخرى أما ما توقف فيه

ابن حجر أو لم يذكره أو ذكره ولم يعط فيه حكما قاطعا فأننى استرشدت بما

تيسر لى من كتب التراجم للحكم على الراوى من خلال الأقوال المدونة جرحا

أو تعديلا ، وبالنسبة لكتاب التقريب ذكرت رقم الترجمة فقط لأننى اعتمدت

النسخة التى حققها الشيخ محمد عوامة وهى مجلد واحد .

٩ - اعتمدت كتاب فتح البارى فى إيرادى لنص حديث الامام البخارى ولم اعتمد

أصل الكتاب وذلك لنقل المتكرر من الفتح بعض التعليقات والتوضيحات

المفيدة المتعلقة بالحديث .

١٠ - جعلت ألفاظ الامام السرخسى فى أعلى الصفحة وأثبت الحديث المراد تخريجه

تحت ألفاظه وذكر من أخرجه أسفل الصفحة .

١١ - عملت على اكمال الأحاديث من مصادرها الا أن يكون الحديث طويلا ،

فاكتفيت بذكر ما يفى بالغرض والحاجة .

١٢ - وضعت بعض كلمات الحديث الغريبة التى تحتاج الى توضيح وبيان .

١٣ - رقت الأحاديث والآثار بشكل تسلسلى .

١٤ - عملت فهارس للآيات القرآنية وللأحاديث والآثار والمصادر والمراجع والرواة

وغريب الحديث .

١٥ - ان الكتاب الذى تعاملت معه كتاب فى الأصول فكثيرا ما يضمن السرخسى

كلامه بما يحتمل أنه يريد حديثا من غير تصريح أو أنه يحتمل قرآنا .

فإذا لم يذكر أو يبين ما يدل على أنه حديث أو يحتمل قرآنا فقد لا أتعرض

له ، وقد أتعرض إذا رأيت فى ذلك فائدة للكتاب .

١٦ - غالبا ما يكتفى الامام السرخسى رحمه الله عند ذكره للرسول عليه الصلاة

وسلم بالتسليم فقط فيقول - عليه السلام - فأضوت الصلاة مع التسليم بقولى :

عليه الصلاة والسلام ، لأن الجمع بينهما أفضل .

توطئة

لقد كان أملى كبيراً أن أجد في المراجع التي تناولت وترجمت للإمام السرخسي الشيء الكثير الذي يتناسب مع امام مجتهد جليل اجتمعت له من الخصال ما لم تجتمع الا لنخبة قليلة ولكن الذين ترجموا له قلائل تكاد تكون كتاباتهم متقاربة ومعلوماتهم واحدة ، الأمر الذي جعل ترجمته مقتضبة تحتاج في بعض جوانبها الى بيان وايضاح .

ولعل سبب ذلك يعود — كما ذكر الدكتور / العبد خليل في رسالته — الامام السرخسي وأثره في علم الأصول^(١) يعود الى ثلاثة عوامل :

الأول : أن الامام السرخسي عاش كل سنى عمره في بلاد ما وراء النهر بعيداً عن مركز الخلافة العباسية في بغداد حيث يلتقى العلماء ويتواجد المؤرخون ولم يعلم أنه قام برحلة في طلب العلم يمكن من خلالها أن نعرف مزيداً من أخباره .

الثاني : أن الفترة التي عاشها الامام السرخسي وجلها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى كانت فترة اضطراب خطير في حياة الأمة الاسلامية فالحروب الصليبية كانت تقف على الأبواب ، والفتن المذهبية مشتعلة في أكثر من مكان ، والاضطرابات الداخلية تهز أركان العالم الاسلامي ، وكانت من الكثرة بحيث شغلت الناس عن الكثير مما سواها .

الثالث : أن شمس الأئمة قضى عشر سنوات من عمره محبوساً في سجن — بأوز جند — بسبب كلمة كان فيها من الناصحين ، ولم يتصل به خلال تلك المدة الطويلة الا نفر يسير من تلاميذه ، استطاع أن يملأ عليهم كتابه " المبسوط " وغيره ، ولولا هؤلاء لما قدر لهذه المصنفات أن ترى النور وليقيت محبوسة في صدر صاحبها طالما هو محبوس في سجنه ، ولن يتمكن من تدوينها بعد خروجه فان الموت كان في انتظاره . اهـ .

ولما تقدم ومع قول القائل ما لا يدرك كله لا يترك جله ننقل ما تيسر لنا من
المراجع التي ترجمت له ولا يفوتني في هذا المجال أن أذكر بأن ما خلفه الامام
السرخسي لنا من ثروة علمية كبيرة هي خير من يتحدث عنه ويترجم له ويشهد بفضله
وعلمه الفزير واخلاصه .

القسم الأول

الدراسة

الدراسة وتشتمل على أمور

ترجمة المؤلف وتشمل :

أ - اسمه ونسبه :

هو الامام الكبير الفقيه ، شمس الأئمة ^(١) أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسى نسبة الى سرخس ^(٢) .

ب - ولادته وحياته :

لم يرد في المراجع التي ترجمت له السنة التي ولد فيها الامام السرخسى فقد ذكرت بعض المراجع أنه ولد في سرخس ثم تلقى العلم على عبد العزيز الحلوانى في بخارى ولازمه حتى تخرج به وصار أنظر أهل زمانه ، زج به الخاقان في السجن بسبب فتوى كان فيها من الناصحين ولعل السبب فى ذلك أن السرخسى الفقيه الوحيد الذى أفتى بأن زواج الخاقان لعتيقته أم الولد دون أن تنقضى عدتها حرام وقضى فى السجن بأوز جند أكثر من عشر سنوات ^(٣) .

(١) اشتهر بهذا اللقب ومن ترجم له لقبوه بهذا اللقب حتى أصبح هذا اللقب

إذا أطلق فى كتب الحنفية انصرف اليه ، انظر الجواهر المضية ٢٨/٢ ،

والفوائد البهية : ص ١٥٨ ، وتاج التراجم : ص ٥٢ .

(٢) سرخس : بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة وآخره سين مهملة ويقال

سرخس بالتحريك والأول أكثر وهى مدينة قديمة من نواحى خراسان بين

نيسابور ومرو فى وسط الطريق ، فتحها عبد الله بن خازم السلمى الأمير من

جهة عبد الله بن عامر بن كرزى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه .

انظر الأنساب للسمعانى ٢٤٤/٣ ، واللباب لابن الأثير الجزرى ١١٢/٢

ومعجم البلدان للحموى ٢٠٨/٣ ، واعجام الأعلام لمحمود مصطفى ص ٢٢٢ ،

ودائرة المعارف للبستانى ٥٦٠/٩ .

(٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية ٣٥٣/١١ والكتب السابقة التي ترجمت له .

العصر الذى عاش فيه

بيد ولنا أن الزمن الذى عاش فيه الامام السرخسى لم تكن الأمور السياسية مستقرة وطبيعية فيه بل كان يسودها الاستبداد والظلم .

قال الدكتور العبد خليل فى رسالته - السرخسى أصوليا - ^(١) ان بلاد فارس قد شهدت فى القرن الخامس الهجرى ظهور حركات شيعية قوية وتأثر بها كثير من الأمراء ثم قال : ولما كان السرخسى يمثل عقيدة أهل السنة بكل صفاتها ونقائسها فان من المتوقع فى مثل هذه الحالة أن يصيبه شئ من أذى هؤلاء . ١٠ هـ

قلت : من مظاهر الظلم فى تلك الفترة ما ذكرته بعض المراجع ^(٢) من أن دخول الامام السرخسى السجن لمدة عشر سنوات كان بسبب كلفه حق قائلها للخاقان الذى تزوج بعتيقته (أم الولد) دون أن تنتضى عدتها بعد أن بين له حرمة فعله هذا وما يدل على فساد حكام ما وراء النهر تلك الفترة ما ذكر الامام الذهبى فى سيره ^(٣) فى حادثة وقعت عام أربع مائة وثمانين تتلخص أن الخاقان خضر بن ابراهيم صاحب ما وراء النهر قتل عالما صبورا وصادرا أمواله وممتلكاته لعدم مسaire ومجاورة المتثل باقامة حفلة للخاقان ببستان العالم فغضب الخاقان من طلبه المتثل بعدم احضار آلات الفسق والفساد يتجلى لنا مما سبق .

طبيعة تلك المرحلة القاسية التى كانت سائدة فى تلك البلاد وهو ما يؤكده الامام السرخسى بقوله وهو فى السجن ان قال فى آخر شرح الاقرار انتهى شرح الاقرار المشتل من معانى . . . املاء المحبوس فى محبس الاشرار وقال بموضع آخر: وعن أسباب الخلاص فى الدينا مأىوس . ^(٤)

(١) السرخسى أصوليا : ص ٥١ .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية ٣٥٣/١١ .

(٣) سير اعلام النبلاء ٥٢٢/١٨ - ٥٢٣ بتصرف .

(٤) انظر الفوائد البهية : ص ١٥٨ ، والجواهر المضية : ص ٢٨ - ٢٩ .

ولقد صور الشيخ محمد الخضرى فى كتابه تاريخ التشريع الاسلامى^(١) تلك المرحلة فقال تحت عنوان الدور الخامس وهو دور القيام على المذاهب وتأييدها وشيوع المناظرة والجدل فى أوائل القرن الرابع الى سقوط الدولة العباسية .

قال فى هذا الدور : انقطعت الروابط السياسية بين الأقاليم الاسلامية فانا ابتدأت من المغرب وجدت فى الأندلس بنى امية . . . وفى شمال افريقية وجدت الشيعة الاسماعيلية قد أسسوا لهم دولة باسم الدولة الفاطمية . . . ووجدت بمصر محمدا الأخشيد يدعوا لبنى العباس ووجدت بالموصل وحلب بنى حمدان يدعون كذلك لبنى العباس ووجدت باليمن الشيعة الزيدية ووجدت فى بغداد دولة الديلم المعروفة بدولة بنى بويه صاحبة السلطان الفعلى ولبنى العباس مجرد الاسم ، ووجدت بالشرق الدولة السامانية وهى دولة عظيمة الشأن قاعدتها بخارى بمسا وراء النهر .

هكذا صار العالم الاسلامى منقطع الأوصال مفصوم المعزى ليس له جامعة سياسية وكل فريق من هؤلاء المتغلبين يعادى الآخر ويكيد له . . . الخ وجاء فى كتاب : الجوينى امام الحرمين^(٢) للدكتور فوقيه حسين محمود فى معرض ترجمتها للامام الجوينى^(٣) والعصر الذى عاش فيه قالت :

سبقت الاشارة الى أن امام الحرمين ولد عام ٤١٩ هـ وتوفى عام ٤٧٨ هـ ، ومعنى هذا أن حياته تقع فى القرن الخامس الهجرى وهى الفترة التى عرف عنها أن الحياة السياسية فى الجزء الشرقى من الدولة الاسلامية كانت فى أشد حالات الفوضى .

(١) تاريخ التشريع الاسلامى : ص ٢٣٣ .

(٢) الجوينى : امام الحرمين : ص ٣١ .

(٣) الامام الجوينى من الائمة الذين عاصروا الامام السرخسى وكانت وفاته ٤٧٨ هـ وبلده قرية من سرخس .

وسبب هذه الفوضى يرجع الى انقسام الدولة العباسية الى دويلات كان يتسع نفوذ بعضها على حساب البعض الآخر وكانت خراسان من بين الدويلات التي انسلخت عن الدولة العباسية مستقلة بنفسها . . . الى أن قالت : بقيت البلاد التي يسيطر عليها البويهيون على هذه الحال زهاء قرن من الزمان الى أن ظهر السلجوقيون لأول مرة في خراسان حوالي عام ٤٢٦ هـ واستتب الأمر حوالي عام (٤٣١ هـ) وكانوا يتبعون المذهب السني ، واتجهت أنظار التابعين للمذهب اليهم مما مهد لهم السبيل للسيطرة على الولايات المجاورة لخراسان رويدا رويدا .

غير أن ظهور السلجوقيين في ولاية خراسان ، وزيادة نفوذهم فيها ، لم يقض على الفتن المذهبية التي كانت قائمة في ذلك الوقت والتي كانت تسفر في كثير من الأحيان عن حوادث دامية يذهب ضحيتها كثير من الأهلين ، ومن البلدان التي كثيرا ما وقعت فيها مثل هذه الحوادث : بغداد ، ثم نيسابور . . . الخ . ا هـ

وما يدل على ظلم الحكام في تلك الفترة ما ذكره الامام ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب^(١) في أحداث سنة تسعين وأربعمائة قال : فيها قتل ارسلان ارغون بن السلطان الب ارسلان السلجوقي صاحب مرو وبلخ ونيسابور وترمز وكان جبارا عنيدا قتله غلام له .

ونذكر في موضع آخر ما يدل على التعصب المذهبي الشديد الذي كان سائدا في تلك الحقبة قال في^(٢) أحداث سنة تسع وثمانين وأربعمائة : ان الامام العلامة السمعاني منصور بن محمد التميمي المروزي الحنفي ثم الشافعي تفقه على والده وغيره وكان امام وقته في مذهب أبي حنيفة فلما حج ظهر له بالحجاز ما اقتضى انتقاله الى مذهب الشافعي ولما عاد الى مرو لقي أذى عظيما بسبب انتقاله . . . الخ ا هـ .

(١) شذرات الذهب ٣٩٤/٢

(٢) نفس المصدر ٣٩٣/٢